الفصل الأول

الإطـــار العـــام للدراســـة

مقدمة الدراسة وأهميتها :

ساهمت عدة مدارس(*) فكرية فى تشكيل الحياة الفكريـــة والثقافيـــة الإسلامية خلال ما يزيد على أربعة عشر قرنـــاً، ويكـــاد يتفـــق الدارســـون والباحثون فى التاريخ الإسلامى على أن هناك أربع مدارس رئيسة كان لهـــا الدور الأساسى فى الحياة الإسلامية، أولها : **المدرسة النصوصية أو مدرسة أهل الســـنة**، وقامت هذه المدرسة على استخدام منهجية النصوص فى تفسير الفكرة الإسلامية وهذه النصوص هى "الكتـــاب والســـنة وقـــول الصـــحابة، وإجماع السلف"(١)، كما استبعدت هذه المدرسة أى اعتبار للرأى أو القياس أو العقل فيما يمكن اللجوء إليهم عند فقد "النص" أو عدم وجوده لتفسير واقعة أو حادثة أو حكم ما يستجد فى الحياة الإسلامية، "ولقد استجابت السلفية لبساطة الفكر عند العامة وفقر الفكر الفلسفى والمركب عند الجمهور، وكذلك استجاب لفكرها وأعلامها العامة والجمهور ٠٠ فصارت تصارع الفلسفة وتنـــاهض المتكلمين، معتمدة على النصوص والمأثورات ٠٠ واستمرت هكذا فى عصر نشأتها الأولى، وكذلك فى عصرها الوسيط ٠٠ وأيضاً من خـــلال الحركـــة

(*) يستخدم لفظة "مدرسة" هنا بمعناها الواسع لا ليدل على وجود تناسق أو وحدة فكرية بين أتباع المدرســـة الواحدة، بل إن المدرسة الواحدة قد تجمع داخلها عدة اتجاهات فكرية مختلفة لا متفقة فى كثير من الآراء مثل المدرسة العقلية التى تمثلها المعتزلة، والتى تنقسم إلى عدة فرق مثل الواصلية، والهُذيلية، والنظامية ٠٠ وقد انفردت كل واحدة منهم بأقوال وآراء تميزت بها عن الأخرى.

(١) الحافظ بن منصور الطبرى اللالكائى : **شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة**، جـــ١، الإســـكندرية، دار البصيرة، د٠ت، ص ٣٢ ٠

الوهابية فى العصر الحديث، تلك الحركة التى نهضت فى شبه الجزيرة العربية بمهمة تجديد الدين وتنقية عقائده من البدع والخرافات التى تراكمت عليه طوال عصر المماليك والعثمانيين ..."[١].

ويرصد محمد جواد رضا تأثير هذه المدرسة فى مجال الفكر التربوى الإسلامى، من عدة جوانب[٢]:

١- تقييد معنى التعليم بـ "فقه" ما أمر الله واستودعه فى الألواح.

٢- قيام "النص" بتقييد طبيعة العقل وحركته فتكون وظيفته فقه النص فقط.

٣- انحصار مفهوم العلم فى "العلوم الشرعية" باعتبارها العلوم الشريفة، فى مقابل "العلوم العقلية" التى تأتى فى المرتبة الثانية والتى لا تحصل على مكانة العلوم النقلية.

والمدرسة الثانية هى المدرسة العقلية وتمثلها المعتزلة[*]، وقد قامت هذه المدرسة على أصول خمسة هى : التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(١) محمد عمارة : **تيارات الفكر الإسلامى**، القاهرة، دار المستقبل العربى، ١٩٨٣، ص ٢٥٦ .

(٢) محمد جواد رضا : "التيارات الكبرى فى الفكر التربوى العربى الإسلامى"، فى : مجموعة باحثين : **الفكر التربوى العربى الإسلامى**، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٧، ص ص ٦٤٠ - ٦٤٣ .

(*) المعتزلة من الفرق الإسلامية الكبرى التى ظهرت فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى، قالوا بخلق القرآن، وفتحوا باب الاجتهاد، والبحث العقلى، واتخذوا العقل قياساً، وشيخهم هو واصل بن عطاء (ت١٣١هـ-٧٤٨م) الذى اعتزل مجلس أستاذه الحسن البصرى الذى رفض رأيه فى حكم مرتكب الكبيرة ورأى أنه فى منزلة وسط بين المنزلتين أى بين الإيمان والكفر انظر حول تعريف المعتزلة ونشأتها وأصولها :

- الجرجانى : **التعريفات**، تحقيق : عبد المنعم الحفنى، القاهرة، دار الرشاد، ١٩٩١، ص ٢٤٨ . =

والذى جعل المعتزلة تبرز كممثلة للاتجاه العقلى هو "قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح، ولو لم يرد بهما شرع، وللشئ صفة فيه جعلته حسناً أو قبيحاً، فالصدق فيه صفة ذاتية جعلته حسناً، والكذب فيه صفة ذاتية جعلته قبيحاً، ولذلك يشترك العقلاء فى حُسن الإحسان إلى الفقير وإنقاذ الغريق. ويستقبحون كفران الجميل وإيلام البرئ ولو لم يصلهم فى ذلك شرع، بل ولو كانوا ملحدين، والشرع لم يجعل الشئ حسناً بأمره به، ولا القبيح قبيحاً بنهيه عنه، بل الشرع إنما أمر بالشئ لحسنه، ونهى عن الآخر لقبحه، ولا يستطيع الشرع أن يعكس، لأن أمره ونهيه تابعان لما فى الشئ ذاته من حسن وقبح"(١).

ولا يختلف المعتزلة عن أهل السنة فى إعلاء شأن العقل فقط، بل أيضاً فى ترتيبه بين أدلة الأحكام والمعرفة، حيث يأتى فى المرتبة الأولى ثم الكتاب والسنة ثم الإجماع، وذلك لأن بالعقل "يميز بين الحسن والقبيح، و به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع"(٢)، "فالعقل هو أول الأدلة، وليس ذلك فقط، بل هو أصلها الذى به يعرف صدقها، وبواسطته يكتسب الكتاب والسنة قيمة الدليل، لأن حجة القرآن موقوفة على حجية الرسالة، وهما موقوفتان ومتوقفتان على التصديق بالألوهية، لأنهما مصدرهما فوجب

- مانع بن حماد الجهنى : **الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، جـ١، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٩٨، ص ٦٩ .
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : **موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة**، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥١٦ .
- القاضى عبد الجبار وآخرون : **رسائل العدل والتوحيد**، دراسة وتحقيق : محمد عمارة، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧١ .

(١) أحمد أمين : **فجر الإسلام**، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٩٧، ص ٢٩٨ .

(٢) عبد الجبار بن أحمد : **فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق : فؤاد سيد، تونس، ١٩٧٢، ص ١٢٧ .

أن يكون لإثبات الألوهية طريق سابق عليهما، وهذا الطريق هـو برهـان العقل"[١].

وقد ظهر تأثير المدرسة العقلية على الفكر التربوى الإسـلامى فـى عدة نقاط برز من خلالها الجانب العقلى لفلسفة التربية الإسلامية، وأهم هذه النقاط ما يلى[٢]:

١- إيمانهم بقدرة الإنسان على الارتقاء بذاته ٠٠ ومن هنا نظروا إلى التربية والتعليم على

أنهما أداتان للصعود بالإنسان نفسياً وأخلاقياً وعقلياً إلى ما يلى مرتبـة الملائكة٠ ولقد استقرءوا هذه الطبيعة الصعودية للتربية من عملية الخلق ذاتها، حيث إن الله تعالى جعل خلق الإنسان يتدرج فى مراحل ارتقائيـة متعالية بعضها فوق بعض٠

٢- كان العقلانيون المسلمون سبّاقين إلى تقرير الوظيفة الاجتماعية للتربيـة ٠٠٠ ومن مجمل الوعى المتحقق بالطبيعة الاجتماعية للتربية هـو محاولـة الموازنة بين حاجات الإنسان الدنيوية والأخروية ٠٠٠ فهم من جهة رفضوا تقييد العلم بعلوم الدين وحدها، فطالبوا المسلم بالنهول من العلوم كلها شرعيّها وطبيعيّها ٠٠٠ كما ربطوا العلوم بالصنائع التى يمارسـها النـاس وتكـون موارد معاشهم٠

٣ -النظرة الشاملة للتربية وكل العلوم التى ترتبط بصلاح النظام الاجتماعى ٠٠٠ ولقد كانت المطالبة بهذا التوجه الاجتماعى فى التربية تهدف إلى تحقيق سعادتين متكاملتين، واحدة فى هذه الدنيا والأخرى فى الدار الآخرة٠

---

(١) محمد عمارة : **الفرق الإسلامية**، تونس، دار المعارف للطباعة والنشر، د٠ت، ص ٩٥ ٠

(٢) محمد جواد رضا : "التيارات الكبرى فى الفكر التربوى العربى الإسلامى"، مرجع سابق، ص ص ٦٨٠ - ٦٨٢ ٠